المؤتمر الدولي الافتراضي: عالمية اللغة العربية وأثرها في التواصل الحضاري.

تحت شعار

لغتنا هويتنا وفخرنا

برعاية مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية في الجزائر.

الاسم واللقب: كمال أونيس.

الجنسية: جزائرية.

الاختصاص العلمي: شعبة لغة وأدب عربي، تخصص: أدب معاصر.

الرتبة: دكتوراه علوم.

المؤسسة: جامعة محمد الشريف مساعدية – سوق أهراس– الجزائر.

البريد الإلكتروني:ouniskamal@gmail.com

الهاتف: 0664.95.13.73

رقم المحور: العاشر، التحليل النقدي للخطاب والدراسات الثقافية.

Theme N°. Ten: Critical Analysis of Discourse and Cultural Studies

عنوان المداخلة: المقاربة التأويلية للنص الروائي بين القيد والإطلاق.

Title of the intervention: The hermeneutic approach of the narrative text between restriction and release

الملخص:

إن الجدل المتواصل في علم التأويل منذ أقدم العصور البشرية، لم يتمكن إلى حد اليوم من حل عدد من الإشكاليات المرتبطة بالمعنى، من حيث طبيعته ومكانه وحدوده، كما أنه لم يكتفي بمرجعية واحدة في تناول ذلك المعنى، ولا بتعيين السياقات المناسبة التي تحيط بالدلالة أو تخلق شروط إنتاجها أو الاشتغال عليها كمعنى.

وهذا معناه أن توظيف التأويل يخدم استراتيجيات متعددة مختلفة ومتعارضة في كثير من الأحيان، مما يفرض علينا تقديم مقاربة تأويلية لنوع من النصوص الإبداعية، الذي نراه أولى بالعناية من غيره من النصوص الأدبية ألا وهو النص الروائي.

لتتبادر إلى فكرنا تساؤلات عديدة منها: ما هو الفرق بين التأويل التقليدي والتأويل المعاصر للنصوص اللغوية؟ ما هي الطرق المرضية من أجل تقديم تأويل مناسب للنص الروائي؟ وما هي أهم العناصر المقيِّدة والضابطة لحدود التأويل والمطلقة المفتوحة في عملية التأويل الروائي؟

يكمن هدف هذا البحث في محاولة تكوين نظرة شاملة عن عملية تأويل النص الروائي، من خلال تناول ضوابطه وإمكاناته، وبيان ثوابته ومتغيراته، عن طريق أنماط التأويل والغوص في نوعه المفارق، من خلال دراسة إشكالية التعددية التي يطرحها، باستقصاء أسس التأويل المتناهي واللامتناهي، وبيان حدود ممارستهما.

متبعين في ذلك المنهج السيميائي لتناسبه مع التأويل؛ الذي يسعى إلى اكتشاف المعنى الصائب للنصوص جراء التناغم بين النص والقارئ لاستكمال عملية القراءة، اعتمادا على دلالات النص المتعددة من ناحية وتباين وجهات القراء من ناحية أخرى، ليصبح التأويل تحقق لدرجة أعلى من الفهم؛ حول معنى النص الذي لا يمنح ذاته إلا إذا صار وسيطا بين الذات وقدراتها التأويلية، لنخلص إلى أن التأويل الأدبي والروائي بحث في إدراك قصد المتكلم من خلال فهم المؤول.

Abstract

Until the present time, the continuous debate in the interpretation science since the oldest human ages has yet to be to solve a group of problems relating to the meaning, with regards to the nature, place and limits thereof. In addition, it was not satisfied with one single reference in dealing with the said meaning, nor to specify the appropriate contexts that surround the significance or create conditions of its production or employment as meaning.

Certainly, this means that employing interpretation serves definitely multiple different and often conflicting strategies, the fact of which compels us to provide an interpretive approach to a specific type of creative texts, which we consider to be the first to be taken into consideration compared to other literary texts; in other words, it refers to the Narrative Text.

In virtue of which, several questions arise in our minds, in respect such as: What is the difference between traditional interpretation and contemporary interpretation of linguistic texts? What are the satisfactory ways to provide an appropriate interpretation of the narrative text? And what are the most important restricting and controlling elements for the open and absolute limits of interpretation in the process of narrative interpretation?

In the light of which, the goal of this research pertains to endeavouring to form a comprehensive view of the process of the narrative text interpretation, through dealing with the controls and possibilities thereof, along with clarifying its constants and variables, all the way through the interpretation patterns and studying thoroughly its paradoxical kind, throughout studying the pluralism problem that it poses, by exploring the foundations of the finite and infinite interpretation, alongside illustrating the limits of their practice.

In closing, and following the semiotic approach as it matches with interpretation, that seeks to discover the appropriate meaning of the texts as a result of the harmony that exists between the text and the reader for the purpose of completing the reading process, depending on the multiple significances of the text, on the one hand; and the contrast of the readers' point views, on the other hand. As consequence, interpretation shall be attained to a higher degree of understanding, with reference to the meaning of the text that fails to give its essence unless it becomes a mediator between the essence and the interpretive capabilities thereof. As a result, we conclude that literary and narrative interpretation investigated the realization of the speaker's intent through understanding the interpreter.

مقدمة:

إن وظيفة التأويل الأولى تظهر في بحثه عن المعنى، نظرا لطبيعته المتغيرة، مما يتطلب اللجوء إلى المزيد من القراءات لإدراك معارف النص، وهو ما يُثير الانتباه في عملية التأويل، نتيجة إعلائه من شأن التعدد والاختلاف في المعاني، لتصبح اللغة مدارا لأفاق ذات دلالات كثيرة، وهذا ما يتجلى في النص الأدبي عامة والروائي خاصة، لانفتاح القارئ المؤول على رغباتها، ويبدأ البحث عما هو مغيب فيها، ويحاول هذا البحث استقصاء حقيقة تأويل النص الروائي، من خلال طرح الإشكالات الآتية: ما هو التأويل؟ وما هي أهم إشكالاته؟ وما هي العناصر الثابتة التي يجب أخذها بعين الاعتبار، والمتغيرة في عملية التأويل الروائي؟

يفرض المنهج السيميائي نفسه في هذه الدراسة، نظرا لتناسبه مع التأويل، من خلال إعطاء نظرة شمولية عن عملية تأويل النص الروائي، بتناول ضوابطه وإمكاناته، وبيان ما هو ذاتي فيه وموضوعي، وأيهما الدائم والمتحول في الوقت نفسه، عن طريق أنماط التأويل، واستراتيجياته المتنوعة بدأ باستقصاء أسس التأويل المتناهي واللامتناهي، وبيان حدود وتخوم ممارستهما.

من خلال التناغم بين النص والمؤول لاستكمال عملية القراءة الحديثة، المعلية لشأن الاختلاف في المعاني، الأمر الذي يجعل الخطابات تشع على الدوام بالدلالات الجديدة، لندرك من كل ما سبق أن قراءة النصوص الإبداعية تقتضي من القارئ المؤول اعتماد مجموعة من القواعد المنهجية لفك مغاليقها، ثم يعقد ميثاقا بينه وبين المبدع بألا يخرج عن هذه القوانين التي اتخذها معيارا للفهم والتأويل.

تمهيد:

لا يتعارض اثنان في أن مصطلح التأويل قد أصبح من أكثر المصطلحات إثارة، لما اتصف به من تعدد في الدلالات وغزارة في الاستعمال في شتى أنواع المعرفة الإنسانية، حتى صار كل اختلاف أو تباينِ ضرباً من ضروب التأويل، بل لقد أضحى التأويل مرحلة ثالثة للقراءة بعد الفهم والتفسير.

ومن ثم يمكن القول أن كل تأويل يتعين أن يقوم على أساس آخر من التأويل، أي إن كل قراءة تأويلية هي في الحقيقة لاحقة بعمليات تأويلية قبل أن تجسد في صورة تطبيق.

يطمح التأويل أن يكون عالما بالنص نفسه، أي عملاً مقبولاً لديه ما يبرره ويدعمه، ليخرج عن دائرة أو بوتقة التأويلات العفوية، التي لا قيمة لها، بل لا يُعتد بها، ليسعى نتيجة ذلك " كل تأويل إلى بناء قواعده أو أدواته سواء بالتموضع داخل علم التأويل جملة، أو بنقد مبادئه وتصحيح ما يراه بحاجة إلى

تصحيح، توافقًا مع طبيعة النص المؤول أو المقاصد الإيديولوجية المحركة، أو معارضة لتأويلات أخرى غير ملائمة أو متناقضة "[1].

إلا أن التأويل إذا أراد أن يكون علمًا لابد أن يشكك في التأويلات الأخرى العفوية، بالبحث عن تأويل ضمن محددات العلم نفسه، بالاستعانة بعلم النص، الذي يفتح عدد من الإشكالات منها أن إنتاج النص يتم داخل الثقافة والتاريخ، ويتحرك ضمن مرجعيات متعددة تعطيه محموله المعرفي .

لنتساءل مجددًا وكل مرة كيف نمارس التأويل على النص اللغوي ؟ المعتذر بدون عملية الفهم، اعتمادًا على رصيد المؤول من ناحية، وفعل التأويل المتجسد في شكل إجراءات تأويلية من ناحية أخرى.

إذا كان مسلمًا أن لا تأويل بلا نص، فإن التأويل متعذر بدون فهم، من خلال " صرف الظاهر إلى الباطن، واعتماد مبادئ الحدس والرؤية التأملية في فهم النصوص وفق دلالاتها المختزنة "[2] ، ذلك أن النص لا يمنح نفسه إلا إذا كان حلقة وصل بين الذات المؤولة وقدراتها التأويلية، المتباينة من شخص لآخر على حسب إمكاناتهم ورغباتهم وتوجهاتهم .

1- تأويل النص الأدبي:

إن النصوص الروائية كجنس أدبي تحمل صعوبات في تأويلها، ناتجة عن قواعد صوغها، التي توسع من دائرة الجنس أو تضيقه، ذلك أنها أدب متحول كتابة ووظيفة، مما وجب الاهتمام أو التركيز على الأنظمة الفنية لها، لكي لا يفقد تأويل النص الروائي قيمته، الأمر الذي يجعلنا نبحث عن التأويل المناسب له.

لكن الأخذ بالخاصيات الفنية لا يوضح جميع إشكالات التأويل، على الرغم من الاعتماد على دلالة العناصر السردية، وصنع عالم ذي زمن متحقق، من خلال بناء معطيات ثقافية، عبر اللغة التي تتعدى القصد الحكائي، لتصبح مشحونة بلغات أخرى، نابعة من كتابات سابقة أو معاصرة، حينها يمتلك النص الروائي حمولته الفكرية وبعده الرمزي الذي يسمح لنا بتأويله، ليكون النص منطلقًا لتأويلات القراء المختلفة، ويكون نقطة جذبٍ بين قيد اللغة ومعانيها، وإطلاق المؤول الناتج من " أفق فكري وجمالي، يُكيِّفُ تصرفه في الموضوعات والأفكار، وتدبيره للغة وسياسته للأشكال والأساليب، ويتكون من تمرُّسِهِ الجمالي بالجنس الأدبي الذي يبدع فيه، ومن تصوُّره الخاص للكتابة ومن ذخيرة قراءاته "[3].

---

[1] – محمد الدغمومي: تأويل النص الروائي، ضمن: من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 36، الدار البيضاء، المغرب، 1995، ص 45 – 46 .

[2] – جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، مطبعة AGP وهران، ص 114 .

[3] – هانس روبيرت ياوس: جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تقديم وترجمة: رشيد بنجدو، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2016، ص 13.

إن التأويل المناسب للنص الروائي يتحقق بانفراده عن أنواع النصوص الأخرى التاريخية والدينية والفلسفية والعلمية والسياسية، ساعة تحققه، كما أن الخاصية الأدبية مستويات ودرجات مختلفة، لا بد من الأخذ بها عند عملية التأويل، ذلك أن النص الروائي يعرف على أنه " ذو المعاني المتعددة أو المعاني المشتركة، التي يمكن تأويلها بالكشف عن جمالها في النص الواحد"[1] ، هذه المعاني المختفية تكون على درجة من الغموض والزئبقية النوعية .

على الرغم من تلونات النص الروائي وتحولاته، يبقى نصا لغويًا، تُستنبط منه الأحكام وتحدد الدلالات و تفهم غايات المعنى فيه، تأويله متوافق مع ما يمنحه للقارئ ساعة القراءة، وخاصيته ما يراه مؤثرًا مشعًا في ثناياه، عن طريق منحه آليات تترجم فهمه له عند عملية القراءة التأويلية .

تبقى هناك أولويات لا يمكن تجاهلها أثناء عملية التأويل للنص الروائي وهي:

- إن تأويلي للنص، لا يمنع تأويلات مخالفة.

- إن النص الواحد يحتمل مستويات مختلفة من التأويل.

- إن إستراتيجية التأويل تنبني رجوعًا إلى: ما نمتلكه من معرفة وثقافة، وعبرهما صورة النص، وما يحركنا من هدف [2].

وتسليمًا بذلك يصبح التأويل مقيدًا أو مطلقًا في آن واحد، أي أن كل قارئ أو مؤول قد يشتغل بعناصر ومادة قد لا يعطيها مؤول آخر أهمية، لأنها ليست في المشترك الذي يتوافق مع طريقته، خصوصًا إذا استعان بأحكام مسبقة خارج سياق النص، أو بحث عن مقاصد ونوايا المؤلف، لتضعف عندها دواعي التأويل، ويفقد النص خصائصه الفنية ومنه نقول أن التأويل المقبول يجب أن يكون ضمن مجال ثقافي ومعرفي علمي مشترك، ومفاهيم وإجراءات منتظمة في حقل منهجي موحد.

2- إشكالات التأويل الروائي:

لم يتوصل علم التأويل إلى حد اليوم من إيجاد طريقة واضحة في معالجة المعنى، بتحديد شروط محاصرته أو إنتاجه وكيفية الاشتغال عليه، من هنا يكون توظيف التأويل يخدم استراتيجيات عديدة، مما يفرض تعيين الغرض منه، والأهداف المراد الانتهاء إليها.

[1] - فتحي بوخالفة: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط[1] ،إربد، الأردن، 2010، ص 127

[2] - محمد الدغمومي: تأويل النص الروائي، ضمن: من قضايا التلقي والتأويل،ص 55.

إنَّ كل تأويل قائم على أسس ومرجعيات أخرى من التأويل، لهذا يسعى أن يكون عالمًا بالنصوص نفسها بوضع قواعد وإجراءات يتموضع بها داخل أي نص، على حسب طبيعته وقابليته للتحليل والقراءة التأويلية .

يمكن القول بخصوص التأويل الروائي أن الكثير من القراءات التأويلية لا تفقد قيمتها على الرغم من سذاجتها وبساطتها، وقيمتها تلك راجعة إلى قيمة النص الروائي ذاته، " إلا أن التأويل عندما يريد أن يكون علماً لا بد أن يجد بينه وبين مثل تلك التأويلات مسافة ابتعاد "[1]، بالتشكيك فيها وأن يضمن له ببحث عن تأويل ضمن حدود العلم وعلم التأويل نفسه .

التأويل يتحقق كمرحلة أولى عن طريق الفهم، النابع من مدركات القارئ المؤول اتجاه النص، الذي يتحول إلى وسيط بين الذات وخبراتها التأويلية، ليتحول التأويل إلى بحث في العلوم الإنسانية، وعلمًا من علومها المتداخل بها، إذ تعتبر علوم فهم وتحاور عن طريق التفسير، والتأويل المتعدد لنصوصها المتنوعة والمتباينة شكلاً ومضمونًا.

التأويل في ظل هذا الفهم لا يقصد به مجرد عملية فهم لشيء معطى سلفًا، له وجود خارجي عن المؤول الذي يحاول فهمه، إن هناك بينه وبين النص الروائي شيئًا مشتركًا هو تجربة الحياة، الذاتية والمقيدة عند القارئ بشروطها المعرفية، وهي موضوعية مطلقة العنان في العمل الروائي، وعملية الفهم تقوم على نوع من الحوار بين تجربة القارئ المؤول الذاتية، وتجربة النص الروائي الموضوعية، من خلال الوسيط المشترك بينهما، ليكون الفهم الخاصية الفريدة للعلوم الإنسانية، ويتم من خلال معايشة تجربة النص، وما يثيره فينا من أحاسيس وأفكار، ومواقف واتجاهات، متضمنة في تجربتنا الذاتية المحددة، مما يفرض علينا الانفتاح على عالم النص، وتوسيع أفق تجربتنا الفردية وإثرائها بمعايشة تجربة النص، من المعلوم إلى المجهول في حالة تخلّق لماهية الحياة نفسها[2].

تذهب نظرية التأويل إلى أن النص الروائي متعدد الوجوه، ليس له معنى واحد، تبعًا للتفسيرات والتأويلات المستنتجة عبر مراحل تاريخية متعددة، فالتأويل أثناء سعيه في الكشف عن معنى جديد للنص يقوم بإخفاء معنى آخر، والذي يتحول بدوره إلى معنى جامد محتاج إلى تأويل آخر، لنستخلص أن النصوص الروائية كيانات تتطور وتتغير بالكشف عن دلالاتها القابلة على الدوام للمزيد من التفسير والفهم والتأويل.

[1] – محمد الدغمومي: تأويل النص الروائي، ضمن: من قضايا التلقي والتأويل،ص 46.

[2] – ينظر: نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط 7، الدار البيضاء، بيروت، 2007، ص27- 28

ليقع الخلاف بين النقاد والمنظرين حول طرائق فهم وتأويل النص الروائي، مركزين على علاقة المؤول بالنص على حساب علاقة المبدع بنصه، للوصول إلى مكنونات النص من خلال ما يقوله، عن طريق ميثاق بينه وبين المتلقي يقوم على النقاط الثلاث الآتية:

- استقلالية العمل الروائي عن صاحبه.

- الأثر يشكل وجودًا موضوعيًا يتمتع بالخصائص نفسها، لأي ظاهرة من ظواهر الوجود الأخرى

- يتضمن كل نص روائي حقيقته التي لا توجد إلا فيه [1].

حقائق ثابتة كتابة، متغيرة تلقيا وقراءة من مؤول لآخر، ومن جيل لجيل تبعًا لتنوع المتلقين، هكذا فالنص الروائي غير ممكن استقلاليته عن صاحبه، ودور المؤول شرط لا غنى عنه لفهم معنى العمل الفني.

إن النص الروائي محور تأويلات مفتوح على مراعيه جراء أشكال مختلفة من الفهم، انطلاقا من النص الثابت الحاضر، إلى وجهات النظر المتعددة حد الإطلاق لتعدد وتنوع مشارب القراء وقدراتهم التأويلية الإبداعية التخيلية.

مما يفرض مراعاة خاصية التفرد في عملية التأويل، في ضوء عناصر السردية الأدبية، باعتبار النص الروائي عملا لغويا فنيًا، يتناسب مع تأويل الدلالة بصرف الظاهر إلى الباطن، والجلي إلى الغامض المستتر.

3-استراتيجيات التأويل:

تطرح التعددية واللانهائية للمدلولات إشكالات عديدة منها:هل يمكن حصر المدلولات المتعددة أم لا ؟ هل تنفي التعددية وجود أي مدلول ؟ وهل عمل التأويل هو إثبات مدلول نهائي للنص ؟ أم يترك النص يسبح في دلالة لا نهاية لا ؟ .

الأمر الذي جعل الباحثين في ميراث الفلسفة التأويلية يميزون بين ثلاثة أنماط من التأويل هي[2]:

أ- **التأويل المطابق:** بين قصد الكاتب وقصدية النص من خلال إبراز دلالة المؤلف.

[1] - ينظر: إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك، دار الميسرة، عمان، الأردن، ص 133 .

[2] - ينظر: محمد بوعزة: إستراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2011، ص 57.

ب- التأويل المفارق: الذي يسلم بتعدد دلالات النص، وأن مقاصد النص تفارق نوايا المؤلف ولا تتطابق معها، بعزل النص عن سياق المؤلف وعن أصله . ليتفرع عن هذا النمط نوعين عنه هما: تأويل مفارق متناهي – وتأويل مفارق لا متناهي.

وتجدر الإشارة إلى أن التأويل المطابق لم يهتم به النقاد ولم يحتفى به المؤولون، على عكس التأويل المفارق الذي كان البارز عندهم، لذا سنقوم بدراسة التعددية التي يطرحها باستجلاء ضوابط التأويل المتناهي واللامتناهي وبيان حدود ممارستهما.

3-1- التأويل المتناهي:

يسلم بتعددية دلالات النص، ولكنه يُسجل في الوقت نفسه محدوديتها من حيث العدد والحجم وأشكال التحقق " فعلى الرغم من تسجيل أحقية النص في التمنع والتردد في تسليم أسراره، فإننا لا يمكن أن نتجاهل أنه يحتوي على مجموعة من التعليمات الضرورية التي توجه قراءاته الممكنة "[1]. والتي تحكمها قوانين التأويل ومعاييره، بتفضيل مدلول محتمل في سياق معين، على أن لا يمثل هذا التأويل المحتمل التأويل الوحيد.

ينظر "إمبرتو إيكو" إلى التأويل المتناهي على أنه نشاط سيميائي تحكمه وتضبطه معايير مقيدة بالقواعد اللسانية للنص، إذا كان هذا التأويل جزءًا من الآلية التوليدية للأثر اللغوي، ويسمى إيكو هذه المعايير بمعايير الاقتصاد criténes d'économie وهي:

3-1-1- الاقتصاد التشاكلي: والذي يتأسس على مبدأين هما:

- النص المؤول يفرض تقييدات على المؤول.

- أي نص قابل للتأويل بطرق متعددة، بالخضوع إلى قواعد محددة بشكل مضبوط[2].

يهدف الاقتصاد التشاكلي إلى توضيح وتفسير الأسباب اللسانية والسيميائية التي تجعل النص يقر بتأويلات ممكنة ويستبعد أخرى، وفي حالة وجود تعددية في المعنى يتدخل مفهوم التشاكل، ليصف ويشرح القواعد التي يجب اتباعها لإنتاج تأويلات مقبولة، من خلال معرفة التشاكلات الأكثر أهمية القادرة على رصد كلية النص، لصحة ومشروعية عملية التأويل.

[1] – صابر محمود الحباشة: في القراءة وفن التأويل (مراجعات فكرية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط 1، إربد، الأردن، 2011 ص 06.

[2] – ينظر: محمد بوعزة: إستراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، ص 73.

3-1-2 قصدية النص: يرى لفعل القراءة أنه تعاقد بين القارئ ونوع قدرته التي يسلم بها النص كي يقرأ ، باعتبار اللغة إرثا اجتماعيا، تكونت جراء التمرس عليها، مما يستلزم معرفة الأطر التي أنتجت في سياق هذه اللغة، والتأويلات السابقة للنص المقروء.

وبرفض "إيكو" قصدية الكاتب نجده أوجد ما يسميه " التعاضد النصي "[1]، بدمج قصدية كل من القارئ والنص، الذي يضمن مختلف الاحتمالات التي يضعها القارئ المؤول للتأويل النصي.

3-1- 3 - المعنى الحرفي: تحتوي الكلمات على معنى حرفي يفهم منها من غير جهد تأويلي، غير أن الرأي المضاد في دراسة اللغة يرى أنها تستند في منطقها على الاستعارات، إضافة إلى أن هناك تعابير تبدو عبثية في مستواها الحرفي السطحي، بحيث لا يمكن فهمها إلا بتأويلها.

3-2- التأويل اللامتناهي:

يقر هذا النوع من التأويل إلى عدم وجود حدود أو قواعد يستند إليها " سوى رغبات المؤول الذي ينظر إلى النص على أنه نسيج من العلامات واللاتحديدات، لا توقف انفجارها الدلالي أية تخوم "[2]، فللمؤول الحرية المطلقة في تأويل النص، لأنه ينطوي على إمكانات تأويلية هائلة.

يعتبر "جاك دريدا" ممثلا للتأويل اللامتناهي، ويعتبره إستراتيجية قراءة تؤكد الوجود الدائم للاختلاف والمغايرة ولا محدودية الدلالة.

ومن قوانين هذا النوع من التأويل التي اشتهر بها نجد:

3-2-1- النص تشتت: فالنص في نظر "دريدا" تشتت من خلال " تناثر المعنى وانتشاره بطريقة يصعب ضبطها والتحكم بها، هذا التكاثر ليس بوسع المرء إمساكه، وإنما يوحي بنوع من اللعب الحر فهو حركة مستمرة تبعث المتعة، وتثير عدم الاستقرار والثبات "[3]، تتيح سلسلة من الإحالات اللامتناهية، مما يقود القراءة إلى استحضار كل التأويلات الممكنة، ليبقى المعنى غائبًا، ويتبدد النص وينشطر في حركة التشتت .

---

[1] - أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، 1996، ص 237.

[2] - محمد بوعزة: رهان التأويل، ثقافات، ربيع 2004، العدد 10، مجلة ثقافية فصلية، كلية الآداب جامعة البحرين، مؤسسة الأيام للطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، ص 19.

[3] - صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ص 132 - 133.

3-2-2- لعبة الإحالات اللامتناهية: تنطلق من لا نهائية التأويل، مادام النص هو سلسلة من الإحالات اللامتناهية، فهو نسيج من الأنساق والمرجعيات، ينتج نفسه بفعل آلية امتصاص نصوص أخرى وتحويلها، ليحيل إلى أنساق مغايرة، لتشكل هذه السلسلة اللامتناهية من الإحالات تشرط وجود النص.

ليتحول الدليل إلى دليل آخر، في سيرورة ترابطات لا متناهية من الإحالات مع دلائل أخرى " لأن الدال وهو يبحث عن المدلول لا يعثر عليه، لأن هذا الأخير يتحول بدوره إلى دال يبحث عن مدلول "[1]، لتبقى لعبة الدوال والمدلولات دون الوصول إلى معنى قار نهائي.

3-2- 3- الاختلاف: يرى أن التأويل قائم على شروط المغايرة والاختلاف، وامتداداتها اللانهائية ، فالدال ليس له مدلول واحد، بل تتعد مدلولاته، ولا تكتمل لأنها في حالة اختلاف وإرجاء، ليقوم مصطلح الاختلاف على تعارض الدلالات من خلال تعارض كلمات اللغة، فالمعاني تتكاثر بسبب تغايرها الدائم مع المعاني الأخرى المؤجلة، كما تتحقق من خلال اختلاف عملية الكتابة والقراءة، ليصبح عملية حرة في تأويل دلالات اللغة.

4- ضوابط التأويل:

إن الحديث عن ضوابط التأويل عند جملة علماء الهرمنيوطيقا والباحثين، يقود إلى حصر العملية القرائية في ثلاث لحظات هي:

-لحظة التلقي الذوقي: باستشعار جمالية النص منذ الممارسة الأولى، وإدراك الاختلاف بين الاستعمال اللغوي والعدولي للنص.

-لحظة التأويل الاسترجاعي: ويقاس بمدى قدرة النص على حث القارئ على تأويله واستنتاج معناه.

-لحظة الفهم أو بناء أفق استشراف المتلقي: بالتوغل في ثنايا النص، والبحث عن مقاصده، ضمن سياقات مختلفة[2].

ومن خلال ما تم عرضه حول تعددية دلالات النص، يمكن رصد اتجاهين ما بعد البنيوية هما:

-التيار التفكيكي: والذي يسلم باللاحقيقة واستحالة التحديد، فالنص من منظوره نسيج من العلامات والإحالات اللامتناهية، وهو آلية للتشتيت، يهدف إلى تحرير النص وإطلاق العنان لسيرورته الدلالية بحسب رغبات المؤول.

---

[1] - عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص 111.

[2] - ينظر: صابر محمود الحباشة: في القراءة وفن التأويل، ص04.

-سيميوطيقا التلقي ونظريات القراءة: وينطلق من التسليم بتعددية النص، وإنتاجية فعل القراءة ويرى أن كل معنى هو مجرد احتمال يرجحه التأويل من بين احتمالات عديدة، من خلال معايير نصية وسياقية.

خاتمة:

تبقى دائرة التأويل مفتوحة، ورهانات القراءة قائمة على النص الأدبي عامة والروائي خاصة، تتجاذبها أقطاب عديدة واتجاهات متباينة مختلفة تنصف كل من النص تارة والقارئ تارة أخرى، فهي بين القيد والإطلاق وبين المتناهي واللامتناهي، في ظل الظروف الموضوعية والذاتية القائمة لحظة التأويل، من مدارك وسياقات واستراتيجيات إذ أن حرية الرأي في التأويل ليست مشجبًا تعلق عليه عقد نفسية، أو تعبيرًا عن ضغوطات اجتماعية أو موالاة لسلطة قائمة أو رغبة في تحصيل منفعة أو شهرة دنيوية، بالمقابل لا نرى مُكافئًا لحرية التأويل إلا جوهر الإنسان ذاته فهو كائن مؤول قبل كل شيءٍ، فبقدر ما تنفتح المدارك وتنبثق المقاربات بقدر ما تزداد عناصر التآلف والتقارب التأويلي .

هذا ويمكن إجمال أهم النتائج فيما يلي:

- تنصهر مقاصد كل من المؤلف والنص والقارئ جميعها في آلية القراءة الحديثة، بإدراج فعل الفهم في قراءات النص المتتالية.

- تعلي عملية التأويل من شأن التعدد والاختلاف في المعاني، مما يمنح الخطابات قوة متجددة على الدوام.

- إن التأويل بحث في إدراك قصد المتكلم، من خلال ما انطبع في ذهن المؤول من فهم، ولما كان المؤول متعددًا والمدارك مختلفة، فإن استنتاج المعنى لا يتم بنفس الصورة، مما يبيح التعدد والاختلاف في الفهم .

- يساهم التأويل في التأكيد على أهمية الذات في العملية التأويلية وقصد المؤول، من خلال استنباط أحد وجود قصد النص .

وخلاصة القول أن القراءة التأويلية طريقة فنية تسمح بتتبع مسار المعنى في عالم السرد، وضبط موضوع الكتابة في العمل الروائي.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المراجع العربية:

1. إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك، دار الميسرة، عمان، الأردن.
2. جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، مطبعة AGP وهران.
3. صابر محمود الحباشة: في القراءة وفن التأويل (مراجعات فكرية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط 1، إربد، الأردن، 2011 .
4. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.
5. عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005.
6. فتحي بوخالفة: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1 ،إربد، الأردن، 2010.
7. محمد بوعزة: إستراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2011.
8. مجموعة مقالات: من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 36، الدار البيضاء، المغرب، 1995.
9. نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط7، الدار البيضاء، بيروت، 2007.

ب- الدوريات:

10. ثقافات: ربيع 2004، العدد 10، مجلة ثقافية فصلية، كلية الآداب جامعة البحرين، مؤسسة الأيام للطباعة والنشر والتوزيع، المنامة.

جـ- المراجع المترجمة:

11. أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، 1996.

12. هانس روبيرت ياوس: جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تقديم وترجمة: رشيد بنجدو، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2016.